في انتظار الإمام المهدي عليه السلام

محفوظة
جميع الحقوق

- هوية الكتاب:

:: **الكتاب:** في انتظار الإمام المهدي عليه السلام

:: **المؤلف:** سماحة آية الله العظمى السيد المدرسي دام ظله.

:: **الطبعة:** الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

:: **الناشر:** البصائر ميديا .

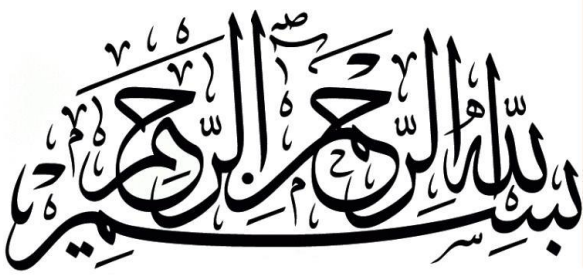
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ❖ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الاَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ❖ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ❖ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الاَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (النور / ٥٤ -٥٧).

إن السبب الذي يجعل الشيعة رساليون نهضويون دائماً أنهم يؤمنون بفكرة الانتظار.

ليس من قبيل الصدفة أن ثورة العشرين قد تفجرت في ليلة الخامس عشر من شعبان؛ ذلك أن هذه الليلة هي ليلة النور التي تذكرنا بأننا لسنا من الذين لا يمتلكون إماماً وراعياً، بل نحن

نمتلك هذا الأمام والراعي، وهو ينظر إلينا، وهذه الفكرة هي التي تدفعنا إلى الامام.

ولو أن الشيعة عرفوا قيمة انتظار الفرج حق معرفتها، واستوعبوها حق استيعابها، لما بقي شيعي واحد مظلوماً في الأرض؛ لأنهم سيرفضون حينها الظلم، وسينصرهم الله عز وجل.

بصائر المعرفة بالإمامة والإمام

استذكار وحضور العقيدة بالإمام المنتظر عليه السلام محطة انطلاق الرساليين وحافزا للتقدم والتطور الإيجابي، والانبعاث المتواصل من عمق الأمل والطموح الرسالي المستمد من وجود الإمام عليه السلام ونبذ السكون والانفلات من قوقعة الجمود .. وذلك عن طريق أكثر من رؤية وبصيرة إيمانية يجب أن نستفيدها من هذا البحر الزاخر ، والفيض الإلهي المتدفق.

فلو عرف الإنسان درجة الإمامة والمقام الأرفع والأسمى لها؛ أن الإمام والامامة هي الدرجة التي تسبق والتي تلحق درجة النبوة؛ فإبراهيم عليه السلام كان نبياً ورسولاً من أولي العزم حينما امتحنه الله سبحانه بأشد الامتحانات؛ بالنيران التي القي فيها فصبر وسلم لله تعالى ـ بالهجرة، حيث ترك زوجته وطفله الرضيع عند البيت الحرام ،إذ لا ماء ولا زرع وسكن، وبأمره أن يذبح ابنه بيده ، وغيرها من الابتلاءات العظيمة. هنالك فقط وبعد أن اجتاز إبراهيم عليه السلام كل الامتحانات، جعله الله سبحانه إماما:

﴿وإذِ ابْتَلَى إبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِي قَالَ لاَ يَنالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فإذا عرفنا هذه الحقيقة، وعرفنا أن الإمام المهدي عليه السلام يتعايش معنا ويرانا من حيث لا نراه، وأنه مطلع على أحوالنا ويراقب صفحات أعمالنا التي تعرض عليه يومياً، وأننا بحاجة ماسة إليه، لبركاته ونوره وحبه.. ليشفع لنا ذنوبنا ولنهتدي به جادة الحق والصواب ويوحدنا وينقذنا من صحراء التيه والضياع.

إذا عرفنا ذلك، فحري بنا ان نستفيد من هذه المعرفة وأن نترجمها بصائر وطاقة في حياتنا المعاشة.

توثيق عرى العلاقة بالإمام المنتظر

نعم؛ إن الإمام موجود وقريب، ولكن الأعمال السيئة تحجب الأبصار عن رؤيته..

أن نصلح أنفسنا لنشعر بوجوده ونعمق علاقتنا به هو السبيل للانتفاع ببركاته، بل قد نحظى بأكثر من ذلك.

والسؤال كيف نرتقي لهذا الشرف العظيم؟.

بالإرادة الصادقة يمكن للمؤمن القيام بخطوات يسيرة تكون فاتحة طريق لأن يكون عليه السلام حاضرا معنا..، منها:

١ - زيارة الإمام عليه السلام عقيب صلاة الصبح، ولو بجملة واحدة هي: السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان.

٢ - الدعاء للإمام عليه السلام عقيب الصلوات ولو بقدر قليل من الأدعية الكثيرة المعروفة.

٣ - وحين يجتمع ثلة من المؤمنين يتذاكرون ما ينفع مجتمعاتهم وينفعهم أن يبدأوا وأن يختموا بالسلام عليه.

٤ - تخصيص يوم واحد في الأسبوع، وبالذات يوم الجمعة لقراءة الأدعية والزيارات الخاصة بالإمام، كدعاء الندبة، ودعاء العهد، وإحدى الزيارات الخاصة به.

٥ - حين تكتنفنا المصاعب والأزمات والأحداث المفاجئة.. فلنتوسل إلى الله سبحانه بمقام الإمام الحجة أن ييسر لنا أمورنا ويقضي حوائجنا.

إن الخطوات الإيجابية تجعل المؤمن يعايش حضور الإمام عليه السلام في علاقة تتطور مرحلة بعد مرحلة، وسيجد المؤمن أن نورانية الإمام الشريفة تجذبه إليها وتأخذ به نحو الأفضل.

العقيدة بالإمام الحجة

جاءت سورة (النور) لتنظيم العلاقات في المجتمع، وفي داخل الأسرة الواحدة أيضا؛ إذ يبدأ الحديث فيها عن المجتمع والعلاقات الاجتماعية والمعالجات والعقوبات للمفاسد التي تطرؤ

على هذه العلاقات.. ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، كذلك تأتي فيها آيات حول الاستخلاف في الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾، وفيها أيضا حديث عن بيت النبوة: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾.

فما العلاقة بين قضية النبوة والإمامة وبين العلاقات الاجتماعية؟.

أن الإنسان حين يريد أن يُحسِّن أخلاقه وسلوكه وعلاقاته ومعاملاته مع الآخرين ،لابد أن يمتلك برنامجا يرسم خطواته وأسوة يحتذي به، وكذا الحال في المجتمعات.

فالأمر الأساس في قضية علاقتنا بالإمام الحجة عليه السلام هو أن نبرمج حياتنا بمختلف شؤونها على أساس العقيدة به، وجعل رضاه وسخطه معيارا لما ينبغي وما لا ينبغي من الأفعال.

إن استصلاح دواخل النفس وتهذيب بواطنها وظواهرها بتزكيتها من الأحقاد والمطامع الدنيوية وترويضها بالورع والعفاف والزهد هو الأرضية الصالحة للتسليم للحق الذي يمثله الإمام عليه السلام.

الانتظار مفهوم رسالي نهضوي

تاريخ الشيعة الممتد حتى يومنا رواد الحركات الإصلاحية ومجانبي الأنظمة الحاكمة الظالمة، وما ذلك إلا لعقيدتهم بالإمام الحجة عليه السلام والمفهوم الرسالي الإيجابي للانتظار لديهم.

فهذه العقيدة تعطي الأمل والحيوية للإنسان؛ فالسنة الالهية تتمثل في أن الذي يكون مظلوماً، أو الذي يكون مع الحق فإن الله ناصره.

وهذه السنة تتحقق فيها بصورة تامة بالإمام الحجة عليه السلام؛ فهو العبد الصالح المضطر الصابر المظهر للحق، وهي تتحقق في البشر بنسب متفاوتة بمقدار اقترابهم من الحق وتمثلهم للسنن.

أن النبي صلى الله عليه وآله بشر المسلمين بظهور الإمام الحجة عليه السلام بأكثر من إحدى وخمسين رواية مذكورة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتب علماء السنة عن الإمام المهدي عليه السلام، ومن بين علماء السنة من كتب كتاباً خاصاً عنه عليه السلام في سنة ١٢٧ هـ أي قبل أن يولد، مثلما كتب علماء الشيعة عنه أيضا قبل ولادته. وبالإضافة الى الشيعة فإن أكثر علماء السنة الموجودين حالياً يذكرون في كتبهم بأن العقيدة بالإمام المهدي عليه السلام جزء من العقائد الإسلامية الثابتة. وهكذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو المبشر الأول بالحجة عليه السلام.

إن الإيمان بالمهدي عليه السلام اكتمال لمنظومة الإمامة فهو الحجة الحاضرة في الأزمان المتعاقبة، والدين وحدة واحدة تتكامل أبعاده. والذي لا يؤمن بالإمام الحجة عليه السلام لديه خلل عميق في ركن أساس من الإيمان.

فالإيمان بالحجة عليه السلام ، والإيمان بأن الله سينصر المظلوم ـ هو الذي يبعث النهضة في صفوف المسلمين، حيث نرى أن الرساليين في مناطق مختلفة يجابهون العدو بروح التضحية والأمل بالنصر بفضل الإيمان بالإمام عليه السلام.

والقرآن الكريم عندما يتكلم عن قضية الاستخلاف في الأرض لا يخصص ذلك بالإمام الحجة عليه السلام بل يعممه؛ لأن سنة الله في الأرض تحققت مرة لبني إسرائيل ،حينما أنقذهم الله بموسى بن عمران عليه السلام ، وتحققت للنبي صلى الله عليه وآله والمسلمين على عهده الشريف، وستتحقق بصورة شاملة إن شاء الله في عهد الإمام المنتظر عليه السلام.

فوائد عصر الغيبة الكبرى

أن مثل الإمام الحجة عليه السلام بيننا كمثل الشمس التي قد تحجبها الغيوم، إلا أن نورها لابد ان ينفذ إلينا مهما تكاثفت السحب، وحرارتها ودفئها لابد أن يصلا إلينا، فمعينها باق ومستمر رغم تلك الغيوم والحجب.

وقلب الإنسان المؤمن يعيش ويحيا بوجود حجة الله في أرضه كعيشه وحياته وسط النهار الذي حجبت الغيوم شمسه. فالإمام المهدي عليه السلام هو شمس المؤمن المحجوبة عنه.

ونتساءل؛ ما هي المنافع التي يمكن استفادتها في عصر الغيبة الكبرى.

ونمهد بالقول: إن زمن ما بعد ظهور الحجة عليه السلام سوف تعمّ فيه الفائدة والمنافع للجميع، بل ولكل الأحياء على الأرض حتى تشمل الملائكة والجن وكل موجود عاقل. وقد جاء في بعض الروايات أن إبليس عليه اللعنة قد أُمهل هو الآخر إلى يوم الوقت المعلوم، الذي يفسر بأنه يوم الظهور وخروج المهدي عليه السلام، ذلك لأن إبليس كان قد طلب أمهاله إلى يوم القيامة، ولكنّ الله تبارك وتعالى لم يجبه إلى ذلك، وإنما أمهله إلى يوم معيّن وهو - كما تقول الروايات - يوم ظهور الإمام الحجة عليه السلام،

حيث سيُقمع في ذلك اليوم الموعود إبليس، وكل شياطين الأرض ، وعندها ينعم الإنسان والوجود كله بالخير والسعادة.

أما عصر الغيبة الكبرى، ففيه ثمرة معنوية وفائدة روحية نستلهمها من عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السلام ، وهذا هو مجمل فلسفة الانتظار الذي نعيشه في عصر الغيبة، ويمكننا إجمال ذلك بثلاثة أمور أساسية هي:

أ - فائدة عقيدتنا بالإمام الحجة عليه السلام.

ب - المحبة والولاء.

ج - بركات دعائه.

١- فوائد عقيدة إنتظار الإمام عليه السلام.

الحديث طويل وذو شجون، ونوضح مفهومه من خلال المثل التالي: أن الواحد منّا عندما ينتظر ضيفاً عزيزاً عليه يقدم إليه فان حاله سيكون مختلفا؛ حيث يترقب القدوم بشوق قد هيّأ في بيته مستلزمات الضيافة الكريمة، فكل هذه الأمور المعنوية والمادية تعكس معنى الانتظار.

جاء في الحديث الشريف: "أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج"، وجاء أيضاً: "أفضل العبادة انتظار الفرج"، فلولا انتظار الفرج ليأس المؤمنون من جهادهم وعملهم في سبيل الإسلام ورفعة

كلمته، ولضاقت صدورهم حين وقوع البلايا والمصائب وتوالي المحن والآلام عليهم.

انتظار الفرج يشرق على القلوب دائماً بنور الأمل. فالإنسان الذي يعيش الأمل يؤمن بأن العاقبة للمتقين، وبالتالي فإن الله عز وجل سيمكن للصالحين، وتكون على أيديهم نهاية العتاة المتمردين، وهذه الفكرة تجعل قلبه في راحة وأمل، حتى في أحلك الظروف؛ لأن اليأس هو أخطر مشكلة يواجهها الإنسان، فهو يفقد الحياة عندما ييأس، نظراً إلى أن القنوط هو الموت العاجل، والخطيئة الكبرى.

وفي الحقيقة، فإن انتظار الفرج يعالج هذه المشكلة؛ مشكلة اليأس والقنوط، والدليل على ذلك أن الشيعة كانوا وما يزالون هم الأكثر رفضاً للظلم والطغيان، فالمناطق التي تسكنها الأغلبية المؤمنة بمذهب أهل البيت عليهم السلام، الذين في قلوبهم نور من انتظار الفرج، وشعاع من نور الإمام الحجة عليه السلام نراهم هم الذين يرفضون الظلم أكثر من غيرهم، وهم الذين يتصدّون للفساد، ويضحّون بأنفسهم قبل غيرهم ولمصلحة الجميع.

إن مجرّد الإيمان والاعتقاد بوجوده وحضوره عليه السلام في هذا العالم رغم عدم معرفة شخصه، فإن ذلك من شأنه أن يخلق الأمل والطموح لدى المؤمنين، ويهوّن لديهم المصاعب

والمعضلات، ويزيل همومهم وآلامهم.. ولذلك فإن المؤمنين الصادقين لم يعرفوا الهزيمة والانكسار المعنوي في صراعهم مع أهل الباطل والكفر والعدوان والإلحاد.

بلى؛ قد ينهزمون عسكرياً فلا ينالون النصر في معركة ما، ولكن هذه الهزيمة لا يمكن أن تنال من معنوياتهم وروحياتهم ما دامت الغلبة في نهاية المطاف لا تكون لأهل الظلم والجور، ومادام هناك في هذا العالم إمام لابد من أن يظهر ويأخذ بثأر ومظلومية كل المظلومين على امتداد تاريخ العمل والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل.

فالمنتظر لظهور إمامه عليه السلام يعتبر كل جهد يبذله في سبيل الله تعالى ريحانة يغرسها على طريق الظهور، يستقبل بها إمامه الظاهر لا محالة، والذي سيملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهذه حقيقة ثابتة.

ونحن لو نظرنا إلى كل المجاهدين والعاملين في طريق الإسلام وفي مجالات الخير والصالحات لوجدناهم جميعاً ممّن يحبّون الإمام، وينتظرون خروجه وفرجه، وهذا يعود إلى كون قلوبهم حيّة طريّة عامرة بالإيمان والأمل.

وهكذا فان انتظار الفرج هو الأمر الأول الذي نستفيد منه كفائدة معنوية من فوائد عصر الغيبة الكبرى.

٢- المحبة ولاء واتباع.

الإنسان الذي يؤمن بفلسفة الغيبة ولديه اليقين بوجود الإمام وكونه ناظراً على أعمالنا وسلوكنا وتعاملنا مع المجتمع والأمة في الحياة، فإنه يكون على صلة قلبية وروحية مع الإمام؛ أي أنه يصبح ويمسي محباً، ذائباً في إمامه وقائده الذي غيّبته الدهور عنه، فحرمته حلاوة لقائه، والتمتع برؤيته.

ومرجع المؤمن في زمان الغياب إلى الفقهاء لـ النيابة عنه. فالإمام مفروض الطاعة ولا جدال في طاعته واتباعه، أما الوكيل أو النائب عنه فإنه واجب الطاعة أيضاً مادام مستقيماً على خط الإمام ونهجه.

فالإمام الحجة عليه السلام هو المقياس لدى الشيعة، وهذه العقيدة هي التي أعطت الفكر الشيعي، وأغنته بالحيوية والاستقامة والثبات. فالأمة المؤمنة بمهديِّها حاضرة تراقب القادة وسيرتهم وهم يؤدون ما عليهم من التكاليف الشرعية. فعلاقة الشيعة بالفقهاء لم تكن يوما علاقة شخصية عاطفية، وإنما هي علاقة قيم ونيابة عن إمامهم الغائب قدوتهم ومثالهم الحقيقي.

وهذا ما يفسر سبب كون القيادة الدينية لدى الشيعة هي الأزهد والأتقى والأعلم، والأقرب إلى المثل الإلهية.

ترى كيف اكتشف الشيعة هذه النماذج، وكيف نمت هذه النماذج، حتى أصبحت قمماً مضيئة لا نجد لها نظيراً في العالم.

السبب أنهم يمتلكون قمة أعلى هي قمة الإمام الحجة عليه السلام، وهذه الذروة السامقة والمتكاملة هي التي نعبّر عنها بـ (انتظار الفرج) لأن انتظار الفرج يجعلنا دائماً نسير نحو القيم المضيئة، ونحلّق حتى نصل إلى الآفاق البعيدة.

٣- بركة دعاء الإمام لأتباعه.

لعل من أكثر النعم التي نعيشها ولا نكاد تخطر على بالنا هي من بركات دعاء الإمام عليه السلام لنا؛ فلعل العديد من الكوارث التي نكره وقوعها ولكنّها مقدّرة في العلم الإلهي يجري عليها البداء ببركة دعاء الإمام المهدي عليه السلام، فتزول أو يخفّف وطأها وأثرها.

وبعد؛ فهذه هي المنافع الظاهرة من الغيبة وانتظار الفرج وهي ما يمكن تسميتها بالفوائد العامة، ثم هناك المنافع والفوائد الخفية التي لا يتلمسها إلا الخاصة من أهل البصائر.

فكثيرة هي المواقف والظروف العسيرة التي مرّ بها الشيعة أو المسلمون وربما البشرية جمعاء، والتي كادت أن تتحول إلى أهوال لشدتها، فكان الإمام الحجة بدعائه وبمنزلته عند الله سبحانه وتعالى سبباً لإنقاذها وخلاصها من تلك الأهوال

والمواقف العسيرة وهذا مالا يدركه إلا أولو الأبصار من أهل العلم والعرفان.

واجبنا تجاه الإمام

ويسأل سائل: كيف السبيل إلى الاستزادة من نور هذه الشمس التي حجبتها غيوم الدهر السوداء؟

والجواب على هذا السؤال تتضمنه النقاط التالية:

١ـ الدعاء له.

أن ساعة الظهور هي أمر غيبي حُجب عنّا، فلا يعلمها إلا الله سبحانه. لذا المؤمن المنتظر يدعو دائماً للتعجيل في ظهوره عليه السلام بصدق من أعماق القلب الملهوف، التوّاق إلى ظهور الفرج ليعكس ويتجسد في سلوك الداعي وأعماله وجهاده الذي يبرهن من خلاله على صدق دعوته، وشوقه إلى ظهور المهدي، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فلا يستخفّن مؤمن عامل بدعائه فيقول: وما قيمة دعائي؟ فللدعاء أهميته ودوره في تعجيل ظهوره عليه السلام، وحدوث الفرج.

فالرب تعالى يدعو عباده إلى الدعاء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ إِدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾، وفي موضع آخر يقول عز من قائل:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِيْ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

وهو تبارك وتعالى يستجيب لدعوة عبده المؤمن إذا اخلص العبادة والدعاء، فهو سبحانه يحب إلحاح الملحّين.

٢ - تهذيب السلوك.

قد يغيب عن البعض غفلة أو جهلا أن الأعمال يطّلع عليها الإمام عليه السلام في كل يوم وليلة كما تؤكد على هذه الحقيقة الكثير من الروايات الشريفة؛ فإن كان قد صدر منا خير وصلاح سرّه ذلك، وإن كان شراً أو إثماً اساءه وأحزنه.

وإذا أردنا أن نفهم معنى هذا السرور أو الشعور بتلك الإساءة فلنرجع إلى مشاعرنا وأحاسيسنا عندما نلمس المعصية والإساءة من أولادنا، ومن ذلك ندرك أحاسيس إمامنا ومشاعره تجاهنا نحن كشيعة ندعي ولاءه وحبّه ثم نسيئه ونحزنه بمعاصينا، وانحرافاتنا وتقاعسنا وتبريراتنا.

فليكن سلوكنا سلوك المنتظرين الحقيقيين له عليه السلام، ولنتمثل حقيقة الانتظار فنصلح نفوسنا وأخلاقنا وسلوكياتنا وتعاملنا مع إخواننا الآخرين، ونجعلها بالشكل الذي يتطابق مع روح الانتظار.

٣ - الاستعداد.

لنكن مستعدّين نفسياً وجسمياً على الدوام؛ ذلك لأن ظهور الإمام لا يعرف أوانه.

وبناء على ذلك ينبغي أن يكون لدينا استعداد مناسب؛ فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، فيجب على الشيعي أن يكون مهيئاً مدرباً نشطاً مستعداً للتضحية على طول الخط، بالإضافة إلى الاستعداد الأخلاقي، والتزكية النفسية، فالحجة المنتظر إنما يريد أناساً طاهرين مخلصين، وهذا ما يجب أن نبنيه في أنفسنا، ونخلقه في أطباعنا وأخلاقنا.

٤ - التبشير بالإمام.

أي أن نعمل منذ الآن على التبشير بالإمام عليه السلام، وبيان حقيقة الانتظار وفلسفتها، ولنعلّم أطفالنا ونعرّفهم بالمهدي عليه السلام وغيبته وفوائد هذه الغيبة حسب ما تستوعبه مداركهم؛ أي أن نبسّط المفاهيم ونقرّبها إلى أذهانهم كي يعوا هذه العقيدة، ويترعرعوا في ظلّها شيئاً فشيئاً؛ فلعل أوان الظهور يكون من نصيبهم، وزمانهم.

دور الإنسان المؤمن في الظهور.

لأنّ رحمة الله سبقت غضبه، ولأنها وسعت كل شيء، ولأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليرحمه لا ليعذبه، فقد جعل عاقبة هذه الحياة الحسنى، وقضى أن يختمها بأفضل يوم وأحسن عهد، وذلك حين ظهور الإمام الحجة بن الحسن المنتظر عليه السلام: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

إن الإنسانية ما تزال تنتظر ذلك اليوم الأغرّ الذي يرفرف فيه لواء العدل والحق فوق أرجاء العالم أجمع، ولكن كيف يتحقق هذا الهدف، وما هي مسؤولية الإنسان اتجاهه؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد أن نقول أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً؛ فالله عز وجل يقول بعد الآية السابقة: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فهذه الآية توحي لنا بحقيقتين مهمتين:

١ـ الظهور يتحقق على أيدي المؤمنين.

ان تحقيق هذا الهدف يتم على يد أولئك المؤمنين الذين عقدوا صفقة تجارية رابحة مع ربهم، يجاهدون من خلالها بأنفسهم وأموالهم لينجيهم الرب من العذاب الأليم، ولينالوا رضوانه.

وعلى هذا فليس من الصحيح الاعتقاد بان مسائل غيبية لابد أن تتدخل لتغيير مسار الحياة. فالله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ثم يقول بعد ذلك مباشرة: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ويستمر السياق الكريم ليبيّن ماهيّة هذه التجارة، في قوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ...﴾ . فالقضية -إذن - تتعلق بالإنسان، فهو الذي يجب أن يحمل راية الجهاد، ويضحّي بماله، ونفسه. ليحصل بذلك على الجنّة، وينجي نفسه من النار حتى تتحقق إرادة الله في إظهار دينه على الدين كله.

٢ـ الجهاد مسيرة حضارية.

الجهاد الذي يحقق المسيرة الحضارية، ويجعل الإنسان يصل إلى الهدف الأسمى من خلق الكون، ألا وهو إظهار الدين على الأرض كلّها. وتحقيق هذا الهدف الأسمى، وهو غلبة الدين الإلهي على كل الأفكار والمبادئ الوضعية فهو يتطلب فئة باعت نفسها لله عز وجل، ودخلت في صفقة تجارية معه لا تراجع عنها سواء كانت هناك رايات ترفع للجهاد أم لم تكن، وسواء كانت هناك أجواء تحرّض على الجهاد أم لم تكن.

إن مثل هؤلاء المؤمنين يتمتعون بطبيعة جهادية، فنراهم يبحثون عن الجهاد في كل أفق سواء كانت الظروف مواتية أم لا؛ لأنهم يعتبرون الجهاد الجسر الأقرب إلى الجنة، والطريق الأقصر لرضوان الله، والسبيل الأفضل للنجاة من النار، ومن الذنوب المتراكمة على النفس.

فكل إنسان لابد أن يرد نار جهنم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً❖ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾ (مريم/٧١ -٧٢)

فالهدف الأسمى للإنسان المؤمن يتمثل في النجاة من النار. وهكذا الحال بالنسبة إلى المجاهدين فهم يسعون لتحقيق هذا الهدف، ولكن بطريق أقصر، وقول الله تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ يدّل على ذلك؛ لأن الخطاب موجّه إلى المؤمنين لا إلى المسلمين أو عامّة الناس، ولأن الحديث موجّه إلى المؤمنين فقد أصبح يمتلك مستوى رفيعاً يتمثل في مخاطبة الإنسان الذي يبحث عن النجاة. أما الإنسان الذي لا يعرف معنى لجهنم، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يفكر في الخلاص من نار جهنم، فالحديث لا يمسه بشيء.

وهنا قد يتبادر إلى الذهن أن الحديث موجّه إلى المؤمنين، فلماذا يؤكد النداء الإلهي مرة أخرى على قضية الإيمان؟

وللجواب على هذا السؤال نقول: أن هذا التأكيد ربما يكون توجيهاً إلى الدرجات العلى من الإيمان.

ما يأخذه الإنسان المؤمن

أن كلّ ما ذكر في الآية السابقة كان متعلّقاً بما يعطيه الإنسان المؤمن، أما بالنسبة إلى ما يأخذه فهو ما يبيّنه الله جل وعلا في القسم الثاني من الآية الكريمة، والذي نذكره من خلال النقاط التالية:

١ - غفران الذنوب ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾؛ وهو أهم هدف يسعى المؤمنون لتحقيقه، ذلك لأننا جميعاً مذنبون في حق أنفسنا، ولو غفلنا عن هذه الذنوب فإن عقاب الله لا يضل ولا ينسى، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وباعتبار أننا جميعاً مذنبون، فلابد أن نبحث عن طريقة للنجاة تتمثل في الجهاد من النوع الثاني -كما أشرنا إليه - والذي يقضي أن يكون الإنسان مجنداً لله، ومتطوعاً ومخلصاً في سبيله.

٢ - دخول الجنة؛ ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

والقرآن الكريم يقرر أن الإنسان ليس بإمكانه إدراك معنى الجنات، ولكنها -باختصار - هي الفوز العظيم، فهي ليست بساتين عادية، أو سقوفاً من فضة، وبيوتاً من ذهب، لأن

جميع هذه المظاهر أمور بسيطة لا أهمية لها، والمهم في كل ذلك أنها الفوز العظيم الذي يحققه الإنسان متمثلاً في نيل رضوان الله.

٣ - النصر المؤزر ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيب ﴾ وهذه من النتائج المهمة التي يبذل الإنسان المؤمن جهوده من أجل تحقيقها، حيث يشرع في الجهاد، ويصمم على مقارعة أعداء الله.

الجهاد رسالة المؤمن.

ويستمر السياق القرآني الكريم ليؤكد على صفة الإخلاص المطلق لله عز وجل، ونصرة الحق، حيث يقول تعالى: ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ ؛ أي على الإنسان المؤمن أن يكون جندياً في جيش الحق، متطوّعاً في جند الله، متفرغاً في سبيله، وبالتالي أن يكون إنساناً يبحث عن كل ما يمتّ إلى الجهاد بالصلة، وعن أي مظلوم أو حق سليب أو أمة مستضعفة يدافع عنها.

وللإنسان المؤمن في هذا المجال أسوة حسنة بالحواريين الذين قال عنهم الله تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ .فالحواريون - كما يبدو من هذه الآية - تقدموا مرحلة مهمة، فعيسى

عليه السلام أمرهم أن يكونوا أنصار إلى الله، ولكنهم تقدموا مرحلة وقالوا: نحن أنصار الله؛ أي أننا سلكنا هذا الطريق، ومضينا فيه إلى درجة بحيث وصلنا إلى النتيجة، فأصبحنا أنصار الله جلّت قدرته، ولذلك قال تعالى في بداية الآية: ﴿ كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ .

يستأنف السياق القرآني الكريم مُبيّناً لنا معنى (أنصار الله) قائلاً: ﴿ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ اَنصَارُ اللَّه فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾

ونحن لو تدبرنا في كلمة (ظاهرين) وربطناها مع العبارة السابقة (ليظهره على الدين كله) لاستنتجنا أن أنصار الله الحقيقيون هم الذين يمكن أن نضرب بهم مثلاً من واقع الحواريين الملتفّين حول عيسى بن مريم عليه السلام ، وهؤلاء هم الذين سيظهر الله تعالى بهم دينه فوق هذا الكوكب. ثم انّ هذه الآية تجيبنا على سؤال سبق وأن طرحناه آنفاً وهو: ما هي علاقتنا بالإمام الحجة عليه السلام.

الظهور و الرحمة الإلهية.

سنن الله تعالى تجري في الأولين كما جرت في الآخرين، وهي سنن واحدة لا تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً، وفي القصص التي حدثت في تأريخ البشرية إشارات وأمثلة على ما سيجري في مستقبلها، والمستقبل الذي سوف تتجلى فيه سنن الله بصورة كاملة وشاملة هو المراد من خلق الإنسان.

المهدي خاتم الأوصياء

وإذا كان آخر الأنبياء، وخاتم المرسلين هو نبينا الأعظم محمد ﷺ الذي ختمت به رسالات الله، فإن خاتم الأوصياء هو الآخر سوف تختصر فيه غايات الرسالات الإلهية؛ لأن الله عز وجل خلق الكون على سنّة التكامل والتسامي. فالأنبياء السابقون - مثلاً - لم يؤمن بهم إلا نزر يسير، وقلما وجد هؤلاء الأنبياء انتصاراً في حياتهم كما انتصر الله لرسالته الخاتمة على يد رسولنا الأعظم ﷺ.

وإذا كان فتح الله الذي تجلى على يد النبي ﷺ أعظم فتح، فإن هذا يعني أن الرسالة سوف تتجلى في أفضل صورها، وأروع معانيها، وأصدق حقائقها على يد خاتم الأوصياء سيدنا وإمامنا المنتظر عليه السلام. وهذه الرحلة الشاقة للبشرية لابد أن تنتهي بيوم

النصر، وهذه هي إرادة الله تعالى، فالخلق هو خلقه، والمملكة مملكته، والأرض قبضته، ولأن هذه الدنيا إنما خلقت ليرحم الله فيها العباد.

الرحمة الإلهية تقتضي الظهور

ولأن الخالق عز وجل هو أرحم الراحمين، فلابد أن ينتهي الظلام، ولابد أن ينجلي الليل عن نهار مشرق، ولا مناص من أن ترسو سفينة البشرية على شاطئ السلام والأمن والرحمة، لأنه تعالى إنما خلق الخلق ليشملهم برحمته ومن المستحيل لمن يعرف رب العباد، ويعرف أسماءه الحسنى أن يعتقد أن هذه الدنيا وما فيها هي مراد الله، والهدف الذي خلق الكون من أجله. فحاشى له عز وجل أن يخلق البشر ليكونوا ألعوبة بيد الطغاة، ويرسفوا تحت نير الظالمين، وليكونوا تحت سحابة قاتمة من الفقر والمرض والحروب الطاحنة.

فلو فرضنا أن الله تعالى ترك هذه البشرية على ما هي عليه، فما هي - إذن - حكمة بعثة الأنبياء عليهم السلام، وما هي حكمة الكتب والرسالات إذا كان عز وجل يريد للبشرية أن تنتهي إلى ما انتهت إليه الآن؟

وبناءً على ذلك ؛لابد أن تكون لرب العالمين حكمة، وهي أنه إنما أخر إذنه لوليه الأعظم وخاتم الأوصياء بالظهور لأن ظهوره

هذا ستكون فيه غاية ونهاية وذروة التقدم البشري، ولذلك فقد أخر هذا الظهور.

الظهور هو السعادة الحقيقية

فإن وجدنا البشرية الآن تعاني العذاب، فإن بعد هذا العذاب رحمة. وإذا عاشت البشرية التفرقة ، فإن هذه التفرقة هي إرهاص للوحدة. ونحن نجد المجتمع البشري اليوم يتقدم خطوات واسعة في طريق التكنلوجيا، ولعل البعض يعتقد أن السعادة سوف تتحقق بهذه التكنلوجيا المتطورة في جميع المجالات، في حين أن هذه ليست سعادة؛ لأن البشر بحاجة إلى الوحي في الغايات والأهداف والأخلاق والمثل، فهم لا يستطيعون أن يتحركوا لوحدهم.

وهنا لابد أن تأتي رسالات الله عز وجل لتنقذ البشرية من هذه المحن، فالإنسان اليوم يستغل التكنلوجيا المتطورة التي توصّل إليها لضرب الأطفال، وقتل النساء، وتدمير المدن، وفي مجال آخر استطاع أن يتطور ويحصل على نتائج مدهشة في مضمار الاقتصاد والزراعة؛ فهو اليوم بمستطاعه أن يزرع في فدان واحد عشر مرات أكثر مما كان يزرعه سابقاً، وتلك مخازن القمح والذرة في أميركا ممتلئة، ولكننا نجد في نفس الوقت ثمانين مليون إنسان يعانون من الجوع، وعشرات الملايين

من الأطفال يموتون سنوياً بسبب نقص التغذية وسوء الظروف الصحية.

إن الإنسان يعرف كيف يُغير الطبيعة ولكنه لا يعرف الهدف، ويجهل كيف يعيش كإنسان أو يتألم لآلام الآخرين.

لماذا آلت البشرية إلى هذا الوضع؟

إن هذا العالم لا يعرف القيم، ويعاني الأمراض فيها، كرجل كلّ أعضائه سليمة ولكنه لا يملك العقل. فالإنسان في هذا العصر يتحرك ولكنه لا يعرف وجهته، وكما روي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: " ومن لم يكن عقله أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه" .

إنّ هذا هو حال البشرية اليوم، فهل خلقها اللّه تعالى لكي تعيش هكذا؟

وبناءً على ذلك؛ فإن هذه التقنية وهذا التقدم الصناعي لا يمكن أن يعطيا الإنسان ما يريده. فهو يريد عيشة الرفاه والسعادة، وهذه السعادة مهددة اليوم بالأسلحة الفتاكة، بحيث أنه بمجرد أن يضغط الإنسان على زر واحد وإذا بالطائرات والصواريخ الحاملة للرؤوس النووية تهدم العالم كله.

المستقبل الأفضل في مذهب أهل البيت عليهم السلام

ترى هل أنّ هذا الإنسان الذي يمتلك هذه التقنية القاتلة يتمتع بقيم كافية لتحديدها؟

إن التقدم الصناعي لم يعط للإنسان هذه الحقيقة، فأين - إذن - المنقذ؟

لقد خلق الله عز وجل الكون ليغمره برحمته، فأين تتجلى هذه الرحمة؟

ابحثوا في ديانات الأرض كلها لتجدوا أنها كلها تبشر بيوم الخلاص، وبإقامة حكومة الله في الأرض، ولكن ليس بتلك الصورة الواضحة والمؤكدة التي نجدها في الإسلام، وفي مذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصاً؛ فهذا المذهب يتميز بأنه يزود الإنسان بأفق مشرق، ويقر في الإنسان الإيمان بحقيقة أن الله تعالى لابد أن يملأ هذه الأرض بالقسط والعدل والسلام والأمن بعد أن ملئت ظلماً وعدواناً.

لقد ادخر الله عز وجل رجلاً وضعه وراء ستار الغيب، وهذا الرجل موجود ومن الممكن أن يظهر في أية لحظة ليملأ الأرض بكل الخيرات والبركات ، وليكمل عقل الإنسان، وحينئذ

تتحقق سعادته، ويغدو إنساناً كاملاً في خلوه من السرف والطمع، لا يعتدي على إخوانه، ولا يوجد في قلبه غلٌّ.

وهكذا باكتمال العقول وتطهر القلوب يولد إنسان جديد ومجتمع جديد حيث يكون السلام والعدل والخير والحب.

عندما يكون الجهاد في سبيل الله عز وجل. فإن الإنسان سوف لا يفرّق في هذه الحالة بين أمة وأخرى، وبين شعب وآخر، وتجمّع وتجمّع ثانٍ، وقد أوضح الله سبحانه هذه البصيرة القرآنية في الآيات التالية من سورة النساء:

﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً ❖ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ❖ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلآ أَخَّرْتَنَآ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء/٧٥ -٧٧)

ونحن نجد في الآيات التي تحدد في مجملها أبعاد وملامح المجتمع الإسلامي الفاضل، آيتين متتاليتين تحدّثا حول ضرورة نصرة المستضعفين أنى كانوا، وتبيّنان لنا أن المؤمنين يقاتلون في سبيل الله، وعلى هذا فإن (سبيل الله) الذي تشير إليه الآية الثانية ليس إلا الدفاع عن حق المستضعفين الذي تشير إليه الآية الأولى.

وعندما يكون الدفاع عن المستضعفين هو سبيل الله، فإن ذلك يعني أن هذا الدفاع لا يخصّ مجتمعاً أو جماعة دون أخرى، فعندما يدافع الإنسان عن شعبه، فإن دفاعه هذا قد يكون في سبيل الله، وقد يكون في سبيل الطاغوت، كأن يكون في سبيل الوطن، أو القومية والعنصرية والتكبر.

وعلى سبيل المثال فإن المجتمع النازي في المانيا قدّم أكثر من عشرة ملايين قتيل في سبيل أحلامه العنصرية التوسعية، والمجتمع الصهيوني هو مجتمع حرب، فميزانية الحرب فيه تطغى على كل ميزانية أخرى، فكل إنسان في هذا المجتمع يعتبر مقاتلاً في سبيل هذا المجتمع، ولكن هل قتاله هذا في سبيل الله أم في سبيل الطاغوت؟

مجرد الحرب ليس جهادا

إن مجرد الحرب والقتال، ومجرد خوض المعارك لا يعنيان أن العمل الذي يقوم به الإنسان مشروع، كما يشير إلى ذلك تعالى في قوله الكريم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ (النساء/ ٧٦)؛ فهما معاً يخوضان القتال، ويقدمان التضحيات، ولكن أحدهما يقاتل في سبيل الله، والآخر في سبيل الطاغوت.

كيف نميز القتال الحق عن الباطل؟

الجواب: الهدف هو وسيلة التمييز، فإذا كان هذا الهدف متمثلاً في طائفة، أو شعب، أو قوم، أو أرض معينة، فإن هذا يعني أن القتال قد يكون في سبيل الطاغوت.

أما إذا كان الإنسان يدافع عن المستضعفين مهما كانوا، وأينما كانوا، فإن الأمر سيختلف، فهذا يعني أن هذا الإنسان يحارب من أجل الله وفي سبيله.

وفي هذا المجال علينا أن نقول أن الإمام الحجة عليه السلام، إنما يأتي من أجل المستضعفين في الأرض، والذي نريد أن نبينه هنا أن وصول البشرية إلى درجة الدفاع عن المستضعفين يعني بلوغها

القمة السامقة من الوعي والنضج الفكريين، فالإنسان -شاء أم أبى - لابد أن يكون محدداً ضمن إطار، سواء كان إطار الأرض أم الإقليم أم أي إطار آخر، فهناك - على سبيل المثال - رجل يدافع عن العراق، وآخر عن أفغانستان، وثالث عن لبنان... وهؤلاء يحق لهم أن يدافعوا عن أرضهم.

ولكن عندما يكون الدفاع عن الأرض فإن هناك واقعين يدفعان الإنسان معاً، وهما؛ دافع الإيمان، ودافع الوطنية؛ ولكن متى يصبح الدافع دافعاً وحيداً؟

الجواب: عندما يقال لك إن إنساناً مستضعفاً في بلد ناء من بلدان هذه الأرض الشاسعة يتعرّض اليوم للمأساة والحرمان، فتندفع لنصرته، وفي هذه الحالة فقط سيكون جهادك في سبيل الله سبحانه وتعالى.

أما إذا اندفعت للقتال في سبيل أرض، أو شعب، أو قوم، أو من أجل قضية دون قضية أخرى، في حين أن القضيتين تشتركان في ملاك واحد، ومقياس واحد، فإن قتالك هذا سيكون فيه نظر؛ أي أنه سوف لا يكون خالصاً لوجه الله عز وجل.

إن القرآن الكريم يقول بصريح العبارة: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً﴾ (النساء/٧٥).

وهذا يعني أن هؤلاء المستضعفين يستحقون الدفاع أيا كانت انتماءاتهم؛ سواء كانوا ملوّنين أم بيضاً، فقراء أم أغنياء، وسواء كانوا مؤمنين مخلصين أم لم يكونوا كذلك، بل المهم في هذا المجال أنهم مستضعفون.

الإصطفاف مع جبهة الحق

وإذا كانت هذه الحقيقة صادقة، فإن هذا يشير إلى إن هناك فئة ستمهّد لظهور الإمام الحجة عليه السلام وإذا كانت هذه الحقيقة صادقة أيضاً، فإن الصراع بين جبهة الحق والباطل إذا بلغ ذروته، فإن الله تعالى سيأذن لوليه بالظهور. ونريد من بلوغ الصراع لذروته أن يتحول إلى صراع دوليّ وعالميّ، وهذا يعني أننا نقترب بخطى حثيثة من اليوم الموعود إن شاء الله...

والسبب في ذلك أن الصراع في العصور الماضية كان محدوداً وإقليمياً، فهو لم يمتد من أقصى الأرض إلى أقصاها، في حين أن الصراع الآن يشمل العالم كله، فهذه الحروب يشترك فيها الجميع بصور مباشرة أو غير مباشرة، وفي جهة أخرى نجد أن المؤمنين في العالم يقفون في جبهة واحدة ضد جبهة الجاهلية،

وهذا يعني أن الحق والباطل أصبحا يمثلان جبهتين عالميتين غير محدودتين بحدود إقليمية أو عنصرية وما إلى ذلك.

إن الإنسان المؤمن يقاتل في سبيل الله؛ فالصراع أصبح صراعاً من جانب المؤمنين في سبيل الله دون إعارة أية أهمية إلى الاعتبارات الأخرى، ومن جهة أخرى فإن الجاهلية عبّأت اليوم طاقاتها من أجل الإبقاء على الطاغوت أيّاً كان، وهذه ميزة أخرى لا تتحقق إلا قبيل ظهور الإمام المنتظر عليه السلام؛ فالأرض قد ملئت ظلماً وجوراً، وهذه الأرض يجب أن تملأ بحول الله وقوته بالقسط والعدل والسلام من قبل وليّ الله الأعظم، وهذه حقيقة ثابتة لابد أن تتحقق.

وهكذا؛ فإن الحرب اليوم أصبحت على جبهتين واسعتين؛ جبهة الحق، وجبهة الباطل. وبعبارة أخرى؛ صراع بين المؤمنين المجاهدين في سبيل الله والمستضعفين، وبين الكفار المقاتلين في سبيل الطاغوت.

فالذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله جلّ وعلا ، وبتعبير آخر؛ من أجل القيم، لا من أجل أرض، أو ذات، أو أيّة قيمة مادية أخرى، بل من أجل الإنسان المستضعف أنى كان.

وهناك في المقابل جبهة الجاهليّة التي تحارب من أجل الطاغوت. وقد دخلنا الآن مرحلة جديدة. فلو أردنا أن نقرّب

ظهور الإمام الحجة عليه السلام فعلينا أن نعمل من أجل إنقاذ البشرية من هذه الحروب، والويلات والمآسي ، ولابد أن نصبح جنوداً وعاملين مخلصين في جبهة وليّ الأمر.

إن المسافة بيننا وبين ما نريد أن نصل إليه طويلة وشاسعة، ونحن نحتاج من أجل تحقيق أهدافنا إلى العمل الجاد الدؤوب، والاجتهاد والحيوية، وتزكية أنفسنا، وطرد الأطر الضيقة منها، وأن نجاهد من أجل أن نجعل نوايانا في جهادنا خالصة.. ومن خلال هذه الخطوات الضرورية سنستطيع حينئذ أن نمهّد لظهور الإمام المنتظر عليه السلام ، ونكون من جنوده.